نافذة

مجد الإنسان والعلم

بالأمس فارقنا عالم الفيزياء في القرن العشرين«هوكينغ»، على كرسي متحرك، وبابتسامة ذكية تقهر العجز، عاش نصف قرنٍ من زمن، حمل أكبر الشهادات، ولم ينادَ يوماً بغير اسمه، لم ينادَ بالشهادات لأن اسمه كان أكبر من كل شهادة، وما قدمه للعلم والعالم والفيزياء والنسبية أعظم من أي بحث أو باحث، وحول ما قدّمه صارت تنعقد الأبحاث والشهادات.

في مكانه وعلى كرسيه جاءت المرأة التي اختارته لتكون حياته... وعلى كرسيه أنجب أولاداً مهمين قالوا برحيله فقد العالم عالماً، وفقدنا أباً مميزاً مرحاً.

في مكانه وعلى كرسيه جاءه سادة العالم وحكامه، تبركوا به وتباركوا، وكان يشيح بوجهه عنهم، هم يتابعونه، وهو ينظر إلى الثقوب السوداء ويرى الساسة انعكاساً لكل سواد الثقوب... يحتفون به ولا يحفل بأحد.

راهن الأطباء على رحيله قبل نصف قرن ويزيد، رأوا أنه لن يعيش إلا أياماً أو أعواماً قليلة، وجلسوا ينتظرون رحيله، لكن روح العلم والتواضع والمرح جعلته يتحدى الطب والمرض، ويقهر كل ظرف... ليس غريباً فالقدر هو من صنع الإرادة، والعزيمة، وأي قول آخر هو من الضعف والعجز.. قهر المرض، قهر العجز، وبقي دماغه، واستنارت عبقريته الفذة، وعلى كرسيه أعطى النسبية بقدر لم تصله بعد إينشتاين إلا على يديه، واكتشف واخترع وألّف، وعاش حياة أقل ما يقال عنها إنها كانت حياة غنية.

بشار بن برد عاش حياة غنية ولم يمنعه العمى، وبقي بيننا المعري وابن سيدة عبقريان لم يحل العمى بينهما وبين العبقرية والكشف والاكتشاف.

عبيد بن الأبرص لم يمنعه برصه أن يكون لسان قومه والمدافع عنهم.

طه حسين لم يحل العمى بينه وبين شهادتي دكتوراه، وبين الترجمة، وبين الصحافة، وبين رؤى نظرية لا تقلّ عن النسبية.

ابن برد تبرك به الحكام، والمعري وابن سيدة قدّما، وعبيد كان سيداً، وطه حسين كان محط اهتمام كل سياسي.

أما رأينا كيف ذهب كلينتون للقاء عالم النسبية والثقوب السوداء، وكان فرحاً أن القدر أتاح له لقاء عالم من هذا المستوى؟ أما رأينا طه حسين كيف يسعى إلى جلساته نجيب محفوظ وعبد الرحمن بدوي، وعبد الرحمن الشرقاوي؟ أما رأينا كيف سعى إليه جمال عبد الناصر وغيره من الساسة؟

إذا كانت الثقافة والحضارة قد حرمتنا رؤية الحكام والساسة مع ابن برد وعبيد والمعري وابن سيدة فإن الأخبار نقلت إلينا صورة كلامية.. مع أنني لست علمي التخصص إلا أنني كنت أتابع عالم الفيزياء على كرسيه في كل ظهور واكتشاف، وتابعت بشغف الفيلم الذي أنجز عن حياته وعلمه، فدخل في كل تفصيل تلافيف الدماغ، وسألت نفسي وأنا أتابع ما تناقلته الوكالات عن متابعته للفيلم الذي أنجز عن حياته، وكانت علامات الرضا على تعابيره تقول: إنه مجد العلم، مجد الإنسان، هذا المجد الذي لا يدانيه مجد... قد يختلف الناس حول رجل سياسة، قد يختلفون حول عالم دين، قد يختلفون حول رجل اقتصاد، لكن العالم كله لا يختلف حول عالم أعطى العالم حياته وخبرته، وقاس وعانى..

لا يختلف اثنان على أديسون أو نيوتن أو إينشتاين، ولا يختلف اثنان على عبقرية شكسبير أو توماس مان أو هوغو أو نزار قباني أو ماركيز... لا يختلف أحد مع أحد حول العبقريات من الغزالي إلى ابن عربي إلى كانط ونيتشه.. العبقرية يتفق الناس كلهم على احترامها والارتفاع معها وبها وإليها، وحدها السياسة تختلف معهم فتجلد ابن برد، وتعذب ابن المقفع، وتنكل بالسهروردي وابن عربي، وتتهم المعري وطه حسين، وتظلم أفلاطون، وتشوه صورة نزار قباني..! وحدها السياسة تفعل كل ذلك، لكنها تعجز، وتبقى العبقرية شاهدة، وتستمر العبقرية لا تعترف بدين أو عاطفة أو طائفة أو مذهب، وحده العبقري يمنح الجميع ولا يحصر عطاءه في جماعته، وما عداه يتوجه إلى جماعة أو منطقة أو طائفة أو مذهب.

إينشتاين للكون... وبسمارك لألمانيا
دستوفسكي للإبداع... ولينين للروس
المتنبي للإنسانية... وسيف الدولة للحمدانيين

إنه مجد الإنسان الذي يحتفي بالعبقرية، ويجعلها الخبر الأول على كل قلب ولسان وعقل، إن مجد التفوق والانعتاق والعالمية الذي لا يحصر عالم الفيزياء هوكينغ على كرسي العجزة، ولا يحصره في مأوى.. فمأواه يضيق الكون عن الاتساع له!

فهل يحصرنا كون واسع ومكتسباته!
أم يصل بنا كرسي عاجز إلى قبة المجد؟

إسماعيل مروة

يوم اللغة العربية في عامها الثاني عشر

أيام اللغات الأخرى اختيرت من أهلها في أيام تجسد رموزاً فماذا عن لغتنا؟

د. جورج جبور

من المتعارف عليه أن اليوم العالمي للغة العربية هو ١٨ كانون الأول من كل عام. هكذا قررت اليونسكو عام ٢٠١١. أما يوم اللغة العربية كما قررته ألكسو – وهي المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة– فهو أول آذار من كل عام. كان ذاك قبل قرار اليونسكو – وهي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة– بعام واحد كما أقدر. علمت بهذين التاريخين من مصادر ثانوية ولا أحكم بدقتهما. ما أحكم بدقته هو أن عمر الإعلان الرسمي عن أحداث يوم للغة العربية لم يتجاوز الأعوام العشرة. فكيف يصح أن يكون العنوان «يوم اللغة العربية في عامها الثاني عشر؟».

يصح لسببين. السبب الأول الجوهري هو أن مصدرا موثوقا أعلمني بأن ألكسو نزلت عند رغبة اليونسكو في ألا يكون للغة العربية إلا يوم احتفالي واحد هو يوم ١٨ كانون الأول الذي في مثله عام ١٩٧٤ قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتبار العربية واحدة من لغاتها الرسمية. لم تبلغ سورية بما فعلته ألكسو، لأننا منذ شاء البعض، بل البغض، غدونا خارج إطار جامعة الدول العربية وعائلتها. تيقنت أن الأول من آذار لم يعد معتمدا لدى ألكسو.

هل هناك من يتابع في هيئاتنا اللغوية والتربوية والسياسية اللغات وأيامها وتنافساتها ؟

أما السبب الثاني فناتج طبيعي عن السبب الأول. آذار شهر رائع نشط منشط وتربوي أيضا. فيه يأتي التلاميذ والطلاب، ربيع طلق يختال ضاحكا، فتتفتح عقولهم، ويقبلون على الحياة بعزم أشد يحسن أن تبدي فيه غادتنا العربية جاذبيتها لشبيبتنا. فإذا تحرر ذلك الشهر الجميل من قبضة يوم ألكسو فلماذا لا نخلد فيه مبادرة سورية هي في أصل أحداث يوم للغة العربية؟ لماذا لا نعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، فنعلن يوم ١٥ آذار من كل عام، وهو اليوم الذي فيه انطلقت فكرة أحداث يوم للعربية قبل اثني عشر عاما، لماذا لا نعلنه يوما للغة العربية في سورية أولا، ومن ثم نحاول، باسم سلطة الفكرة، باسم احترام الفكرة واحترام تاريخ إطلاقها، باسم حقوق الملكية الفكرية، إقناع الدول العربية وإقناع اليونسكو بأمر واضح أنه حق لا ينازع فيه منصف؟

في عام ٢٠٠٨ بذلت اليونسكو جهودا مكثفة لكي تهتم الدول الأعضاء بيوم اللغة الأم في ٢١ شباط من كل عام. لا تتساهل فرنسا مع انتشار الإنكليزية. الحديث عن ضرورة الحفاظ على اللغة الأم إحدى أسلحة فرنسا الناعمة في مقاومة انتشار الإنكليزية. اهتم بأمر اللغة الأم اتحاد الكتاب العرب بدمشق. دعاني إلى المساهمة في ندوة عقدت يومي ٢٦ و٢٧ شباط ٢٠٠٨. جعلت لمحاضرتي عنوانا متحديا: «العربية وحرب اللغات». تابعت المطالبة بحقوق اللغة العربية. ومن حسن الحظ أن موعد محاضرتي كان سابقا بأسابيع قليلة لقمتين إسلامية فعربية. طالبت القمة الإسلامية التي تعقد في السنغال منتصف آذار ٢٠٠٨، طالبتها مكررا ما قلته في مؤتمر القاهرة آنف الذكر عام ١٩٩٦، وكانت القاهرة عاصمة للثقافة العربية: «على كل دولة في منظمة المؤتمر الإسلامي جعل العربية لغة ثانية في دستورها». كما طالبت القمة العربية المقبلة في دمشق لكي تعتمد يوما للغة العربية مستحسنا أن يكون موعده يوم بدء التنزيل الشريف. اهتمت قمة دمشق باللغة العربية ، لكن من جانب آخر لم يتطرق إلى يوم لها. أقر المؤتمر مشروعا أعدته لجنة التمكين للغة العربية وسمته «مشروع النهوض باللغة العربية». وفي ندوة أقامتها هيئة الكتاب أوائل آذار قرأت عن المشروع كلاما هو أشبه بشهادة وفاة.

ذهبت الفكرة إلى ألكسو والشكر للجنة التمكين. ثم من ألكسو، كما أقدر، ذهبت الفكرة إلى اليونسكو فجرى توسيعها لتشمل بقية اللغات الرسمية. رأت اليونسكو أن تخصص يوماً عالمياً لكل لغة رسمية في الأمم المتحدة، فكان للعربية يوم توافق عليه مندوب السعودية ومندوب المغرب بصفته رئيساً للمجموعة العربية يومذاك. غدا يوم اعتبار العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة في ١٨ كانون الأول ١٩٧٤، غدا ذلك التاريخ يوم العربية العالمي. أما الأيام العالمية للغات الأخرى فقد جرى اختيارها لتجسد رموزاً ثقافية أو تاريخية تعتز بها أمم تلك اللغات.

جورج جبور

اليوم الذي اقرته اليونسكو

وهكذا أصبح لدينا يومان للغتنا. واحد ألكسي في أول آذار، وثان يونسكي في ١٨ كانون الأول. وربما أنه كان بعد ذلك ما كان من إغفال أضعف اليومين.

اللغات وأيامها في السياسات الإقليمية والدولية

لا أدري إن كان في هيئاتنا اللغوية والتربوية والسياسية من يتابع سياسات اللغات وأيامها وتنافساتها، بل حروبها المعلنة وغير المعلنة. مكان المتابعة الأفضل هو الخارجية والجامعات ومراكز الأبحاث. وأعترف بأنني لم أشتغل منهجياً في هذا الشأن رغم اهتمامي به. أعتمد عادة على الحدس أو التكهن. ولأذكر مثالين:

١– لا أكتمكم إنني حين أتابع العدوان التركي على السيادة السورية في عفرين والشمال السوري فإن ذهني يتجه في بعض الأحيان إلى إلقاء اللوم على تقصيرنا في التعرف على منظمة لا أعلم مقدار نشاطها، إلا أن اسمها دال على طبيعة عملها. إنها منظمة الدول المعنية بالتركية التي تمتد جغرافياً من تركيا إلى الصين.

٢– ولا أكتمكم إنني حين أتابع تجليات السياسات الأميركية في المنطقة وآخرها قرار إلغاء صفة الاحتلال عن زهرة المدائن، وحين أتابع أصول السياسات الإنكليزية في المنطقة ومنها دعوة عام ١٨٤٠ لإقامة إسرائيل حاجزاً بين مصر وبلاد الشام، فإن عاطفتي تتجه إلى تأييد ما قيل عن حظر الإمام خامنئي تدريس الإنكليزية في المرحلة الابتدائية. وبالطبع لا أذهب مع عاطفتي في هذا الشأن.

وأعترف لكم وبكل المسؤولية العلمية، لأن المعطيات بين يدي لا تسمح لي بأن أدعم حدسي بوقائع، أعترف لكم بأنني أرى ما يبدو وكأنه مخطط لإضعاف العربية وأثرها التوحيدي على من هي لغتهم الأم وعلى مجمل الناطقين بها.

انظروا مثلاً إلى ما قيل من أن اليونسكو همست به إلى ألكسو فأصبح سياسة عربية: «لا يصح أن يكون للعربية يومان!». لماذا لا يصح؟ لا أدري.

يعود بي ما يقال بأنه همسة اليونسكو إلى اليوم الذي اقترحته في جامعة حلب ليكون يوم اللغة العربية. إنه يوم بدء التنزيل الشريف. يوم كانت، أو نزلت من السماء: «اقرأ!». إنه يوم يجمع العرب والمسلمين. أليست العربية لغة الإسلام؟ ألا يمكن القول إن من المفيد لإسلام المسلم، وللمسلم، أن يزداد ارتباطه بالعربية؟

غابت هذه المعاني، كما يبدو، عن مناقشة ألكسو ليوم اللغة العربية. تركز النقاش– كما قيل– على صعوبة تحديد يوم بدء التنزيل. وقيل أيضا: بل ليس من اختصاصك يا ألكسو تحديد ذلك اليوم ، بل هو من اختصاص ايسيسكواي المنظمة الإسلامية للتربية والعلم والثقافة.

واتفق قادة ألكسو أن يكون يوم اللغة العربية تربويا فولد الأول من آذار يوماً للغتنا.

ثم أتت همسة اليونسكو في إذن ألكسو: يكفي العربية يومها العالمي والاحتفال الأساس به هو هنا في باريس. لا احتفال عالمياً بالعربية في بلاد العرب.

وقبل هذا خصص المفكر التونسي الدكتور عبد السلام المسدي صفحات من أحد كتبه ليشرح كيف جرى تعديل اسم مشروع النهوض باللغة العربية ليصبح مشروعاً للدخول إلى عالم المعرفة. اعتبر المسدي ذلك التعديل إضعافاً لما في المشروع من ذاتية عربية.

وبعد هذا أتساءل: لماذا كان يوم اللغة العربية « ديوانياً» يؤرخ ليوم عادت فيه الأمم المتحدة عن خطأ سابق أو سهو سابق، فاعتبرت العربية لغة رسمية، ولم تعامله معاملة الأيام العالمية الأخرى ليجسد رموزاً ثقافية وتاريخية يعتز بها العرب؟ هل استشيرت الدول العربية كلها عبر وفودها في باريس، وهل عادت الوفود إلى دولها، وعادت الدول إلى مجامعها اللغوية، فكان تحديد اليوم حصيلة رضى هذه الأطراف جميعاً، أم إن الأمر اقتصر على نصيحة يونسكية إلى مندوبين عربيين أحدهما تمول دولته ، مشكورة بالطبع، نفقات استعمال العربية في اليونسكو، وثانيهما كان يومذاك رئيس المجموعة العربية في اليونسكو؟

قلت إنني أتحدث بكل لا مسؤولية علمية. أتابع حدساً أو تكهناً. وحبذا لو يقطع القول في هذا المجال، بل يقطع سوء الظن في هذا المجال، رسميون أقدر مني على الخوض.

وفي الختام

أنتهي مؤكداً نقاطاً ثلاثاً:

١– لا ضير في أن يكون للعربية أكثر من يوم.

٢– ثمة ضير يلحق باحترامنا لثقافتنا في حال استمر يوم اللغة العربية في موعده الراهن. وكانت مني عن هذا الموضوع رسالة إلى مدير عام اليونسكو ربما أنه نتج عنها دعوتي إلى إلقاء بحث في مقر اليونسكو عن اللغة العربية بمناسبة يومها العالمي عام ٢٠١٦.

٣– من المفيد علمياً وحقوقياً قبل كل شيء، ومن المفيد سياسياً لسورية ولاسيما في أيامنا هذه، أن تعلن سورية يوم ١٥ آذار من كل عام يوماً للغة العربية، وأن تحاول إقناع الدول العربية وألكسو به، وكذلك إقناع دول العالم واليونسكو.

عسل الملكات عواء ذئب وخطاب إنسان

آلاء جمعة

«لا أعدكم بقراءة ممتعة على ضوء المدفأة، لا أعدكم بنهايات سعيدة كل ما في الأمر أني ألقيت حجراً ثقيلاً في الماء الراكد». بهذه العبارة استهل الشاعر والروائي ماجد أبو غوش روايته التي يفوح من بين صفحاتها رائحة مدن السواحل والبرتقال اليافوي، الفطور المقدسي، صحن الفول بالزيت، رائحة جلد المقاوم والمقاومة.

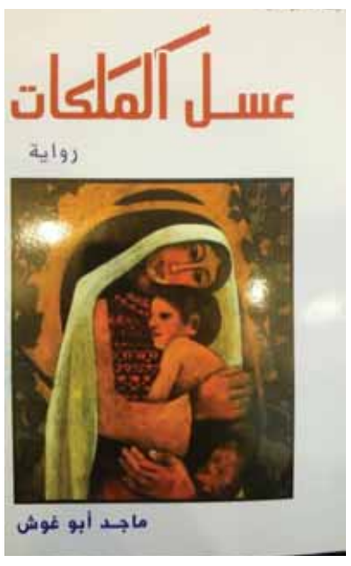

رائحة كل فلسطيني كُتب له أن يكون أبياً ثورياً يواجه بأسلحته الضئيلة غولاً لا يعرف الحرمة ولا الرحمة يستبيح الأرض والوطن والعرض بلا هوادة، فينزل بالأبرياء شريعة الحرب التي لا تفتأ تتلذذ وفقاً لسننها المعهودة باقتناص قلوب العشاق، وتتعمد إفساد بريق حبهما وأحلامهما، تلوكهما بوحشية فتخرج الأول وحيداً حزيناً يذوب على مهل وتبتلع الآخر وتغيبه بعيداً في أحشائها مدى الحياة، تتجلى هذه المعاناة في روايتنا الفلسطينية الصادرة عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠١٧ وتمدد جسدها على ١٤٢ صفحة لتحكي حكاية (الذيب وغزالة) وما مر بحياتهما من حب وحزن ومن ثم فراق. «أنا لم أر الذئب من قبل في مثل هذه الحالة، أنمناه على المقعد الطويل أنا وأمي بعد أن خلعنا عنه المعطف والحذاء، أحضرت والدتي غطاء وغطته به، خرجنا وأغلقنا عليه غرفة الجلوس، لما نهضنا من النوم كان الذئب قد غادر البيت، على طرف المقعد ترك رسالة لي:

أنا ذئب يتيم فقير/ طريقي كمائن/ ودمي مستباح/ ليس في ليلي/ نجوم ولا حتى مصباح زيت!/ طريقي موحش مقفر/ ليس فيه عشب ولا ماء/ وأعمار الذئاب قصيرة/ وأنت غزالة!/ فقط كوني بخير/ حتى أكون.

يسمعنا الكاتب عواء الذيب المخنوق ويعرفنا بطولاته ومعاناته وعذاباته التي تعرض لها في سجن الرملة من عزل وصلب ومنع من النوم، طوال مئة يوم ويوم، يخاطب إنسانيتنا وإنسانية العالم جمعاء، فالذيب يستنسخ نفسه في كل الحروب، ويطلق عواءه في رحاب الكون كنوع من التفريج الذاتي والجمعي لمصير إنسان ووطن كُتب له أن يقبع في قمقمة الوجود، يستصرخ طالباً رد كرامته والاعتراف بوجوده، بإنسانيته، بأحقيته في الحياة والعيش الهانئ يرعى بذور حبه لتثمر عائلة يرتاح إليها وأولاداً يهبون حياته قيمة وفرحاً ودفئاً.

تلك هي الأطروحة المركزية لهذا العمل، هي شحنة ذاتية وجدانية ووجودية فلسطينية كامنة في كل عربي وفلسطيني على السواء الذي عانى ما عاناه وما زال يعاني إلى يومنا هذا، تستتبع رواية (عسل الملكات) سير أترابها لتكون تلك الحنجرة المخنوقة التي يتعهد الأدباء دوماً بإماطة اللثام عنها وإطلاق عويلها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أختم لكم بمشهد مرير يعكس رؤية الفلسطيني الاختزالية لوطنه، فيراه في كل التفاصيل التي ترتبط به وبترابه المدمى.

«حدثوني مرة عن لاجئ من يافا يعيش في مخيم اليرموك، حصل على حبة برتقال من يافا، حملها بمحبة زائدة، لم يستطع أن يغرس السكينة في قلب البرتقالة، حملها معه إلى غرفة النوم، حضنها باكياً، غفا وهو يغني ليافا».

مهرجان طرطوس الثقافي

وزير الثقافة: هذه الاحتفالية تقام على وقع انتصارات جيشنا العربي السوري

الوطن

شهد اليوم الأول من معرض طرطوس الثقافي افتتاح معرض للفن التشكيلي لمديرية الفنون الجميلة، ومعرض نتاج عمل الأطفال لمديرية ثقافة الطفل، ومعرض للكتاب من إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب وتوقيع كتب لمجموعة من الأدباء إضافة إلى معرض نحت للفنان علي سليمان.

وشهد اليوم الثاني إعادة افتتاح متحف طرطوس الأثري، الذي ضم مجموعة من التوابيت المرمرية الإنسانية الشكل، تعود للقرن الخامس قبل الميلاد، وتابوتاً من البازلت النادر الوجود، ونقوداً ودمى وأواني فخارية وتماثيل ومباخر وقطعاً أثرية من مدينة عمريت وتلة فارس ويحمور وتل كزل وغيرها، وقطعاً أثرية مهمة تمت استعادتها كانت معدة للتهريب، إضافة إلى لوحات فسيفسائية من قرية غنيري بجبلة.

كما تم افتتاح معرض للصور أقامته مديرية الآثار والمتاحف في طرطوس القديمة عن الأضرار التي طالت المواقع الأثرية والمدن التاريخية من خلال الأعمال الإرهابية، لتوثيق خطوات الترميم لكل الأوابد التي تشكل الهوية التاريخية والحضارية لسورية.

وتابع المهرجان فعالياته بحفل فني لأوركسترا المعهد العربي للموسيقا في طرطوس بقيادة المايسترو مهدي إبراهيم ومشاركة عازف الإيقاع رواد جلول على مسرح المركز الثقافي العربي في طرطوس وسط حضور جماهيري كبير.

وقال وزير الثقافة محمد الأحمد خلال كلمة له: إن هذه الاحتفالية تقام على وقع انتصارات جيشنا العربي السوري المتلاحقة الباهرة، فسورية تنتصر وتشمخ، بفضل جيشها وقيادتها وقائدها وأبناء شعبها الذين لا ينحنون لأي معتد أثيم، مهما بلغ من قوة وشراسة.

وتابع: طرطوس هي المحافظة التي تخلو من الأمية، والتي قدمت أكبر عدد من الشهداء لأن الإنسان الواعي المثقف هو الأقدر على بذل روحه ودمه دفاعاً عن بلده وأرضه.